

سيميائية العنوان في ديوان " أول الجنون " للشاعر عثمان لوصيف

The Semiotics of the Title in the Poetical Works of Othman Loussif "Prime of Insanity"

ريح الله نصر الدين ¹، د- قرفي السعيد ²

¹ جامعة الوادي، (الجزائر)، rabhallah-nacereueddine@univ-eloued.dz

² جامعة الوادي، (الجزائر)، guerfi-said@univ-eloued.dz

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

تاريخ النشر: 2024/03/30

تاريخ المراجعة: 2024/01/21

تاريخ الإيداع: 2023/04/15

ملخص:

تعتبر "سيميائية العنوان" من أبرز القضايا النقدية المهمة التي اعتنى بها نقاد الحداثة، ومما لا اختلاف فيه أن العنوان من العتبات النصية اللازمة والموازية لتشكيل النص الإبداعي، حيث يساهم في تبيان مضامين النص وتوضيحه عن طريق وضوح العنوان مباشرة أو عن تأويلاته غير المباشرة، والعنوان هو البوابة الأولى التي تستفز المتلقي للولوج داخل النص، وهذه الدراسة المعنونة بـ: سيميائية العنوان في ديوان "أول الجنون" للشاعر عثمان لوصيف محاولة للكشف عن حقيقة العنوان وفق قراءة سيميائية له وعلاقته بالعناوين الفرعية للقصائد، من أجل فك الشيفرات والرموز والدلالات وفهم أسرار النص عبره من جهة خاصة. فإلى أي مدى استطاع الشاعر عثمان لوصيف أن يجعل من عنوان ديوان الدراسة سؤالاً للمهتمين بحقل السيميائية خاصة ما تعلق بدرس العتبات؟

الكلمات المفتاحية: النقد الحداثي، السيميائية، العتبة، العنوان، النص.

Abstract:

"The Semiotics of the Title" is one of the most important issues in literary criticism that modern critics have tackled and considered. It's a defacto that the title is one of the necessary textual thresholds corresponding to the production of creative texts. This is so because the clarity of a title contributes to clarifying the contents of the text either directly or by its indirect interpretations. The title is, indeed, the entrance gate through which the reader steps in the realm of the text. This study, entitled The Semiotics of the Title in the Poetical Works of Othman Loussif "Prime of Insanity" is an attempt to discover the essence of the title according to a semiotic analysis in view to frame its relationship to the sub-titles of the poems. This is carried out to decipher the symbols and connotations of the texts on the one hand; and to understand the mysteries treasured in the text on the other hand. This led us to raise the following question: To what extent did Othman Loussif succeed in making the title of his poetical works a key issue to the researchers interested in the field of semiotics, namely that in connection with thresholds?

Keywords: modern criticism, semiotics, threshold, title, text

* المؤلف المراسل

مقدمة:

لقد أثار استنطاق وتأويل النص الشعري الحديث والمعاصر جدلا كبيرا لدى النقاد الحداثيين العرب بشكل لا يفسد مدلولاته ومعانيه الحقيقية ويحافظ على البنية النصية ، وعمدوا في ذلك إلى توظيف المنهج السيميائي على وجه الخصوص في محاولة لتطبيق آلياته من أجل مقارنة النصوص بطريقة واعية دون المساس بهويتها العربية ، لا إفراط ولا تفريط ، في إظهار المعاني بحيث لا يتوقف هذا التحليل عند إحالات ومعارف وعلوم معينة وكذلك لا ينتهي عند دلالات معينة ، وإنما يفتح النص على العديد من القراءات والتأويلات المختلفة وهو المقصود والمراد عند التحليل السيميائي ، وقد أخذت هذه المقاربات منعرجا نقديا قائما بذاته في التعامل مع النص الحديث ميزه تضارب آراء النقاد في الأدوات الإجرائية وكيفية استقراء النصوص الأدبية وطرق التأويل الصحيحة في كشف الحقيقة .

ويعد العنوان واحدا من مشتغلات المنهج السيميائي على النص الأدبي ، بل إنه يعد نصا موازيا للنص الأصلي فهو العتبة الفعلية لظهور حقيقة تشابكات النص و أبعاده الفكرية و الأيديولوجية من ثم يشكل مدخلا رئيسا للنص ، وعليه فإن قراءة العنوان ومحاورته من ضرورات التحليل السيميائي للنصوص . لتكون هذه القراءة من جانبها مدخلا حقيقيا للنفوذ إلى دلالات عنوان ديوان " أول الجنون ط للشاعر عثمان لوصيف . لتأتي الإشكالية : ما الأبعاد الدلالية التي يشتحن بها عنوان ديوان " أول الجنون " ، وما صدق تلك الدلالات في عناوين قصائد الديوان ؟

أولا : مفهوم العنوان وأنواعه

العنوان هو البوابة الأولى للدخول للعمل الأدبي لذا أخذ اهتماما بالغا في مختلف الدراسات الحديثة و المعاصرة فلا يمكن كشف خبايا النص عبر تجاهل العنوان أو تجاوزه، فهو المفتاح الأولي، يختزل بناء النص في كلمة أو كلمات تستفز عبرها القارئ للدخول إلى أعماق النص .

جاء في لسان العرب لابن منظور " عن الشيء يعن و يعن ،عنا و عنوانا: ظهر أمامك" ¹ فالمفهوم اللغوي للعنوان هو الظهور و البروز أمامك و بمعنى آخر " أن العنوان يعبر و يشير إلى ما عنون به " ² .

أما العنوان اصطلاحا فيعرفه محمد الهادي المطوي : " أنه عبارة عن رسالة لغوية تعرف بهوية النص و تحدد مضمونه و تجذب القارئ إليه و تغويه به " ³ ، يحدد هذا التعريف العنوان بأنه مقطع لغوي يتكون من كلمة أو كلمات أقل من جملة يحمل شحنات دلالية و معان مختلفة تثير القارئ لكسب هذه المدلولات و فهم المعاني داخل النص.

أما "بسام قطوس" فيرى أن "العنوان علامة أو إشارة تواصلية له وجود فيزيقي مادي وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل (الناص) والمتلقي " ⁴ ، يتضح من هذا القول أن العنوان علامة سيميائية ذات بعد دلالي إيحائي تعرف بالنص وتحده وهو شفرة رمزية تشد انتباه القارئ وتحمله على فكها بما تقدمه له من إichاءات.

و يحمل le titre . بالفرنسية و the title بالإنجليزية . معنى واحدا مشتقا من كلمة Titolus تيتولوس اللاتينية التي تعني اللافتة المعلقة على الدكان ...⁵ و يعرف مؤسس علم العنوانه ليو هوك Léohok أن العنوان هو مجموعة علامات لسانية (كلمات ، جمل ، نص) التي يمكن أن تدرج على رأس نصه لتحده و تدل على محتواه العام و تعرف الجمهور بقراءته⁶ . إن ليوهوك يعتبر أن النص علامة لسانية تحمل مدلولات و معان تجذب القارئ عبر موقعها المدروس على الغلاف مع شكلها الرمزي.

أما جاك فونتاني (iques on tamille) فيرى أن العنوان مع أقسام أخرى هو من الأقسام النادرة في النص التي تظهر على الغلاف وهو نص موازنة⁷ ، بل هو نوع من أنواع التعالي.

و هنا تبرز أولى وظائف العنوان التي يمكن تحديدها في الإيحاء ، الإغراء و التعيين و هذا ما وقف عليه جيرار جينيت و يقول أيضا أن العنوان كان أكثر من أي عنصر من عناصر النص الموازي _ من جهة الأهمية الدلالية للعنوان _ يطرح بعض الإشكاليات و بالتالي يقتضي طاقة تحليلية كبيرة...⁸ . يتضح أن العنوان عتبة سيميائية ذات بعد دلالي إيحائي يعرف بالنص

ثانيا: أهمية العنوان:

اهتمت السيميائية بالنص الموازي باعتباره دلالة توازي النص الأصلي و جزءا لا يتجزأ من العملية الإبداعية للكاتب و علامة استفزازية للمتلقي و بالتالي : قد يخسر المتلقي كثيرا إذا عبر سريعا إلى نص العمل الإبداعي متجاهلا العنوان و مدلولاته عبر القراءة ؛ " حيث أن العنوانه هي أولى المراحل التي يقف عندها الباحث للكشف عن بنياتها و تركيبها و مقاصدها التداولية .."⁹

فالعنوان هو الذي يؤطر النص و يصفه و يؤكد و يعلن الغموض عبره و هو الذي يحقق للنص وسيلة تشويش ذهن القارئ بإيقاعه في الانزياح و المجاز¹⁰ و الغوص في معاني النص و فهم دلالاته و انعكاسها على العنوان ، لذا سعى الشعراء لاختيار عناوين ذات كثافة دلالية عالية لقصائدهم و دواوينهم من خلال الصبغة الغامضة المتعمدة على استخدام الرمز و توظيف الأساطير كما جاء في قول وجيه فانون : "إن الشعر لم يكن في يوم من الأيام أقرب إلى روح الأسطورة منه في الوقت الحاضر"¹¹ وكل ذلك من شأنه أن يفسر التجاء بعض الشعراء إلى الغموض في عناوينهم لإغراء القراء : فضلا عن اعتبارها أول مثير أسلوب تصطدم به عين المتلقي في قراءة أي نص إبداعي .

ثالثا : أنواع العنوان ووظائفه:

تختلف أنواع العنوان باختلاف الدراسات و تباينها و قد حدد كلود دوشي ثلاثة عناصر للعنوان و هي¹² :

1_ العنوان الرئيسي : هو العنوان الأساسي للعمل الأدبي.

2_ العنوان الثانوي : غالب ما نجده معلنا بأحد العناصر الطباعية للدلالة على وجهته .

3 _ العنوان الفرعي : يعبر عن جنس العمل الأدبي (شعر ، رواية ، قصة).¹³

أما جيران جينيت فقسم العنوان إلى ثلاث أنواع¹⁴ :

1- العنوان الرئيسي Le titre.

2- العنوان الفرعي titre-Sous.

3- المؤشرات الجنسية Indicationgenétique

ترتبط وظائف العنوان بأنواعه لأن أنواع العنوان ضبطت من خلال علاقتها بالنص وعليه لا يمكن القبض على وظائف محددة لكل عنوان حيث تباينت الوظائف عند مختلف المشتغلين على العنوان¹⁵ ، وتعتبر الوظائف الستة للغة التي بلورها وحددها جاكبسون المرجعية الأساسية لتصنيفات ووظائف العنوان بوصفه "مرسلة تتداول في إطار سوميو ثقافي ، بنية تواصلية قائمة على المرتكزات أو العوامل الآتية: الكاتب القارئ النصّ فضلاً عن العنوان الذي يمثل العنوان البؤرة في هذه البنية التواصلية"¹⁶

وتتمثل هذه الوظائف في الوظيفة المرجعية ، والوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، الوظيفة التأثيرية والوظيفة الانعكاسية ، الوظيفة الشعرية، والوظيفة الإفهامية¹⁷ .

لكن النقاد رأوا أنّ هذه الوظائف فيها نقص وقصور وذلك لاقتصرها على الرسالة اللغوية فقط، في حين النظام التواصلية يتعدى اللغة في التّواصل فالعنوان لغة وعلامة سيميائية، لذلك وظائفه تخدم كلا الميزتين حيث تشتمل الميزة الثانية على المرجعية الاجتماعية والإيديولوجية والأيقونية من خط وألوان وغيرها.

وانطلاقاً من ذلك حاول النقاد تحديد وظائف العنوان¹⁸ ، وخص جيران جنيت (Gérard Genette) العنوان بأربع وظائف تمثلت في:

1-الوظيفة التعينية:

وتسمى أيضاً بوظيفة التسمية وهي الوظيفة التي يتم من خلالها تعيين اسم الكتاب وتميزه عن غيره من الكتب وتعرفه لجمهور القراء وهي وظيفة استدعائية وهذا يعني أن معرفة العنوان تؤدي إلى استدعاء مضمون النصّ في ذهن المتلقي¹⁹ . ويذكر جنيت: "أنه بإمكان هذه الوظيفة أن تعمل دون وجود الوظائف الأخرى، ويؤكد مجدداً على أنها أهم وظيفة للعنوان"²⁰

2-الوظيفة الوصفية:

وهي الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيئاً عن النص. حوافز المرسل من وراء وضع العنوان. وتتخذ طبيعة يختارها "المرسل" وما يقوم به "المرسل" إليه من تأويل والذي يفترض للمرسل من عنوانه وتكون الوظيفة الوصفية حسب "جنيت" موضوعاتية، أي أنها تحدد موضوع النص²¹.

3- الوظيفة الدلالية الضمنية المصاحبة:

ولها علاقة بسابقتها. ويرى "جنيت" أنّ هذه الوظيفة لا مناص منها ؛ لأن العنوان مثله مثل أي ملفوظ بعامة له طريقته في الوجود²².

4- الوظيفة الاغرائية:

وهي الوظيفة التي تغري القارئ وتحفزه لقراءة النصّ، ويكون العنوان مناسباً لما يغري ويجذب القارئ المفترض، وينجح لما يناسب نصه محدثاً تشويقاً وانتظاراً لدى القارئ، وهي وظيفة تشتغل على جذب اهتمام القارئ وتشويقه²³.

وعليه فإن العنوان علامة للنص وتحقيقاً لإنجازه، فالنصّ والعنوان يشكلان ثنائية والعلاقة بينهما علاقة إلزامية، وتموقع العنوان في صدارة المؤلف دليل على أنه موجه للقارئ، هذا الأخير الذي يتوجه عند التقائه بالعمل الأدبي إلى قراءة العنوان من خلال تفعيل معارفه محاولاً تفكيك رموزه واستقراء دلالاته عبر أنواعه ووظائفه باختلافها.

رابعا: مقارنة عنوان الديوان " أول الجنون " سيميائيا :

مما سبق الحديث عنه أن العنوان هو عتبة نصية مهمة يجب على واضعها أن يهتم بانتقائها؛ لأنها تلعب دور المنبه و المحرض حسب الدراسات النقدية الحديثة و من هنا كان الاهتمام به أمراً حتمياً؛ لأنه أول عتبات النص و بما أن العنوان إشارة سيميائية و حمولة دلالية تشرح النص بطريقة أو بأخرى فسلطته الطاغية تظفي بظلالها على النص فيستحيل النص جسداً مستباحاً لسلطته ، فهو سفير القصيدة / الديوان حيث يقوم بدور الوسيط بين النص و القارئ الذي يسعى إلى فك شفرات العنوان و الوقوف على دلالاته ، لذا لا بد لنا من الوقوف على عملية التحليل و التأويل عبر ثلاثة مستويات : المعجمي ، النحوي ، الدلالي.

1- المستوى المعجمي :

يعد المعجم مدخلا مهما في القراءة السيميائية ، نجده كوحدة لسانية ، ويعتبر لحمة أي نص كان ، فمهما اختلفت النصوص فالمعجم يحتل موقعا مركزيا فيها . فالكلمات في عنوان " أول الجنون " نجدها كوحدة لسانية تتركب من وحدتين لسانيتين (مفردات) على المستوى المعجمي : أول _ الجنون . و إن كانت هاتان الكلمتان لهما معان و دلالات متعددة :

فنجذ الحقل المعجمي لكلمة ²⁴أَوَّلُ: ضِدُّ الْآخِرِ، أَصْلُهُ أَوَّالٌ أَوْ وَوَّالٌ، ج: الْأَوَائِلُ وَالْأَوَالِي عَلَى الْقَلْبِ وَالْأَوَّلُونَ، وهي الأولى، ج: أَوَّلٌ وَأَوَّلٌ. وَإِذَا جَعَلْتَ أَوَّلًا صِفَةً، مَنَعْتَهُ، وَإِلَّا صَرَفْتَهُ. تَقُولُ: لَقِيتُهُ عَامًا أَوَّلًا، وَعَامًا أَوَّلًا، وَعَامَ الْأَوَّلِ قَلِيلًا. وَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُهُ مُذْ عَامٌ أَوَّلٌ، تَرْفَعُهُ عَلَى الْوَصْفِ، وَتَنْصِبُهُ عَلَى الظَّرْفِ، وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلًا، تَضُمُّ عَلَى الْغَايَةِ، كَفَعَلْتُهُ قَبْلًا، وَفَعَلْتُهُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، بِالنَّصْبِ، وَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُهُ مُذْ أَوَّلَ مَنْ أَوَّلَ مِنْ أَمْسٍ وَلَا تُجَاوِزُ ذَلِكَ. وَهَذَا أَوَّلٌ، يَبَيِّنُ الْأَوَّلِيَّةَ. الْجَمْعُ: أَوَّلُونَ وَ أَوَائِلُ وَ أَوَالٍ، الْمُؤَنَّثُ: أُولَى، وَ الْجَمْعُ لِلْمُؤَنَّثِ: أُولِيَّاتُ وَالْأَوَّلُ: ضِدُّ الْآخِرِ. وَتَعْتَبِرُ كَلِمَةَ أَوَّلٍ أَنَّهَا بَدَايَةُ أَيِّ شَيْءٍ هِيَ الْمَصْدَرُ وَالْأَصْلُ فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ تَفْسِيرُ وَ مَعْنَى كَلِمَةِ الْأَوَّلِ ²⁵ - الْأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَعَبَّيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} ²⁶. الْأَوَّلُ: الْمُتَقَدِّمُ أَوْ الْمُبْتَدِئُ أَوْ الْبَادِئُ وَهُوَ ضِدُّ الْمُتَأَخِّرِ.

والتفسير الاشتقاقي لجذر الكلمة "أول" ²⁷، التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المؤنث للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا. وقال الخليل (العين 368/8): تأسيسه من همزة وواو ولام، فيكون فعل، وقد قيل: من واوين ولام، فيكون أفعال، والأول أفصح لقلة وجود ما فاؤه وعينه حرف واحد، كدندن، فعلى الأول يكون من: آل يؤول، وأصله: أول، فادغمتم المدة لكثرة الكلمة. وهو في الأصل صفة لقولهم في مؤنثة: أولى، نحو: أخرى. فالأول: هو الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه: أحدها: المتقدم بالزمان كقولك: عبد الملك أولا ثم المنصور. الثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء، وكون غيره محتذيا به. نحو: الأمير أولا ثم الوزير. الثالث: المتقدم بالوضع والنسبة، كقولك للخارج من العراق: القادسية أولا ثم فيد، وتقول للخارج من مكة: فيد أولا ثم القادسية. الرابع: المتقدم بالنظام الصناعي، نحو أن يقال: الأساس أولا ثم البناء. وإذا قيل في صفة الله: هو الأول فمعناه: أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء (وقال الحلي: الأول هو الذي لا قبل له. راجع الأسماء والصفات للبيهقي ص 25)، وإلى هذا يرجع قول من قال: هو الذي لا يحتاج إلى غيره، ومن قال: هو المستغني بنفسه. وقوله تعالى: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} ²⁸، {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} ²⁹ فمعناه: أنا المقتدى بي في الإسلام والإيمان، وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} ³⁰ أي: لا تكونوا ممن يقتدى بكم في الكفر. ويستعمل (أول) ظرفا فيبنى على الضم، نحو جئتكَ أول، ويقال: بمعنى قديم، نحو: جئتكَ أولا وآخرا، أي: قديما وحديثا ³¹. وقوله تعالى: {أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى} ³² كلمة تهديد (راجع: حروف المعاني للزجاجي ص 12) وتخويف يخاطب بها من أشرف على هلاك فيحث بها على التحرز، أو يخاطب بها من نجا ذليلا منه فينهى عن مثله ثانيا، وأكثر ما يستعمل مكررا، وكأنه حث على تأمل ما يؤول إليه أمره ليتنبه للتحرز منه.

و أما الحقل المعجمي لكلمة الجنون، فالجنون مصدر جَنَّنَ، جُنُنٌ: ³³ الجُنُونُ: زوال العقل أو فساد فيه /الجنون فنون [مثل]: يُضْرَبُ لِمَنْ يَخْلُطُ بَيْنَ أَشْيَاءٍ لَا رَابِطَ بَيْنَهَا.

و بهذا كانت المعاني الموثقة في المعجمات عن كلمتي عنوان الديوان " أول الجنون " كلها تدور حول بداية الشيء فيما يخص الحقل المعجمي لكلمة أول. و فقدان العقل لكلمة الجنون و باعتبارها حالة مرضية في المجال الطبي.

2- المستوى النحوي:

من النظرة الأولى للعنوان "أول الجنون " نجده نحويا مترابطا و متماسكا جاءت على شكل جملة اسمية بسيطة يشوبها الغموض فمن الطبيعي أن الشاعر إذا فسر العنوان أفسده لأنه يغلق في وجه القارئ الاحتمالات المفتوحة . إن البنية السطحية لهذا العنوان تكشف عن سطح غامض لأن النص الظاهر : تتم فيه العمليات اللسانية و التركيبية و المنطقية ولكن هنا العملية اللسانية هنا لم تكتمل لأن العنوان يبقى دائما شيئا مؤجلا مضمرا يتكفل القارئ بالكشف عنه أثناء القراءة.

و عند قراءتنا لعنوان " أول الجنون " نجد أنفسنا أمام معطى لغوي جاء في تركيبة نحوية : هي اسم بمعنى مبدأ الشيء، وتعرب حسب موقعها من الجملة- فأول الجنون هنا أول تأتي: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا ، مرفوع وعلامة رفعه الضم الظاهر في آخره، وهو مضاف.

الجنون: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسر الظاهر في آخره.

3_ المستوى الدلالي :

بما أن العنوان هو رمز أو شفرة يلج عبرها القارئ للنص لكشف مضمراته و استنطاق مفرداته بالتحليل و التأويل ، و من خلال الحقول الدلالية التي غطت العنوان الرئيسي من جهة و مدلولات العناوين الفرعية من جهة أخرى ، سنحاول الوقوف على الدلالات و ربطها بمضمون النص لتحقيق المبتغى الذي يرومه هذا البحث وهو الوصول إلى دلالات العنوان " أول الجنون " ، فهل تستوفي دلالات "العنوان أول الجنون " حقيقة النص ؟ و هل هناك ترابط بين العنوان الرئيسي للديوان و العناوين الفرعية للقصائد ؟ .

نجد الشاعر عثمان لوصيف وقع اختياره على كلمة الجنون و التي لا يقصد بها الخطل أو نوعا من أنواع الأمراض العقلية بل هو عدم التألف مع الطبيعة و الحياة الروتينية اليومية ، فالجنون هنا هو جنون الإبداع أي تحول الشاعر من حالته الطبيعية لحالة هوس و فقدان توازنه الطبيعي ليسافر من العالم الواقعي إلى عالمه الخاص ليصبح مختلفا عن الآخرين فيما يفكر و فيما يفعل حيث أنه دائما ما يأتي بأفكار جديدة غير منطقية و مجنونة فيجعل من العملية الإبداعية خارج الصندوق ، ف " أول الجنون " هو البداية الإبداعية للشاعر عثمان لوصيف حيث يقول في ديوانه " حين أخرجت من الأرشيف المغبر هذا الجنون العفوي و البريء"³⁴ كأن هذا الديوان عبارة عن الأعمال الإبداعية الأولى لهذا الشاعر و لا يخلو مجتمعاتنا من الأشخاص المبدعين في منزلة المكروهين المنفيين خاصة في الأماكن قليلة التعليم ذات الظروف الصعبة فيعيش المبدع بين أفكاره و تخطيطاته المجنونة فيخرج لنا أيقونات من ذهب كقوله³⁵ :

شقي تجرعت المرات يافعا
و تاهت بأهات الخطى و المسالك
تحاصرني النيران من كل جانب
و يهوي على قلبي الدجى و النيازك

رمانى زمانى فى فجاج من الردى
و بلبلنى وسواس حب جميلة
أهيم على وجهي و دربي شائك
فأمسيت أعمى و الليالي حوالك "

ف نجد الشاعر عثمان لوصيف يحاكي تأوهاتة و آلامه مبينا ذلك عبر الكلمات و الدلالات .
و كقوله³⁶:"

أفمن جنون عريد السمسار
فى أمة قد أشربت بهتانها
و أنا المدجج بالعجاج و باللضى
ها إنني بعصاي اضرب صخرها
لا السامري سعا بها فأظلمها
مازلت أمل صفوها و نعيمها
لكنني صعب المراس بفطرتي
و الحب مني و القصائد و الندى
و غدا الثعلب بهنسا و الفار
و تبخرت فى أرضها ابقار
لا ينثنى عزمي و لا أنهار
فيشع نورا مائي الفوار
لكنه تيس طغى و حمار
حتى أرتني إفكها الأقدار
الرعد مني و الردى و النار
و النور و النسمات و القيثار

نجد الشاعر هنا يذهب بنا إلى عالم يرفض فيه الواقع المرير رفضا تاما ، فيوظف التناص (حكاية السامري)
و (حادثة الإفك) ليكشف عن جنونه الراض لسلبية المجتمع كما أنه وظف الخطاب الصوفي مستفيدا من
المدلولات المختلفة لفظا و معنىً ، فالجنون عند المتصوفة يعد أفقا روحيا متعاليا يجسد صوت من اختارهم الله
بقربه لجنونهم به و و لهم ، يقول ابن عربي فى فصل له : " عقلاء المجانين فى فصل الله " فالجنون عندهم ما كان
سببه من أمر كوني و إنما كان عن تجل إلهي لقلوبهم و فجأة من مفاجآت الحق فاجأتهم فذهبت بعقولهم³⁷ ،
كما قال عثمان:³⁸

سقيم أصابتني الجفون النواعس
و ما بي من مس يثير بلابلي
عروس من الفردوس مرت بخاطري
فهاجت همومي و البلاد دسائس "
و دقت ضلوعي العاديات الدواهنس
سواها فى خلان إنني داعس

فعثمان لوصيف يحاكي أحزانه فى عالم آخر يمثل تحديا للوعي البشري و قد بلغ الأمر من الخلط و
التساؤل ما يحتاج لمواجهة صعبة سواء بالنسبة لاحتمالات التشابه و الاختلاف بين طيات و شطحات النفس

و نجد أن ديوان أول الجنون أنه مزيج من أخبار النفس و الإبداع الشعري ، حيث يقول³⁹ :

هناك خيط أضر وهاج
يمتد بين الأرض و السماء
كالمعراج
تسلقي
تسلقي وميضه المغناج
يا أعين التراب و الزجاج
و عانقي الأفلاك و الأبراج

الجنون هنا عبارة عن ضمنيات باطنية يستشف عبر سياقها الخيالي متأملا و مناجيا بين السماء و الأرض مدعما شعوره المجنون للأبراج، فكانت البدايات الإبداعية عبارة عن هوس شعوري ربما لا نفهمه بتصورنا البسيط، و قوله:⁴⁰

يا شمسنا الخضراء
يا فيض المرايا و الأغاني
و المني ..
حتى متى ينأى مزار
و تشط دار؟

فدلالة الجنون هنا نجدها بالتلاعب في الألوان و المسميات و ترابط الكلمات المختلفة مع بعضها، فينادي هنا الشمس بالخضراء فأدخل على الشمس لونا معبرا في خياله المجنون بعيدا عن واقعنا. ولا ينسى الشاعر حتى و هو بين طيات جنونه قضايا الأمة حيث قال⁴¹:

أنا نار فما خوفي من اللهب
و صاعقة فما خوفي من الرعد
سأدحرهم .. سأسحقهم
أرغمهم على الهرب
فلسطين أظهرها
وأكنسها من الجرب"

يصف الشاعر نفسه بالنار و الصاعقة كدلالة لفظية واضحة على جنونه و على قوة إحساسه بالقضية الفلسطينية وحلم تحريرها جاعلا من المحتل جريا يريد طرده، جاعلا من نفسه صاحب المكسنة لتنظيفها .
بعد قراءتنا لعدة أمثلة من شعر عثمان لوصيف في ديوان "أول الجنون" وجدنا أن دلالات الجنون موجودة بصفة واضحة من جهة و ضمنية من جهة أخرى فأول الجنون هو فيض من عالم الصبا الخصب رغم ما يشوبه أحيانا من تشنجات و رعونة التي تصيب نزوات المراهقة ، فدلالة العنوان "أول الجنون" هو بدايات الإبداع.

خامسا: علاقة عنوان الديوان أول الجنون بعناوين القصائد

تختلف عناوين القصائد من عنوان لآخر منها ما كانت تعبر عن أحاسيسه و آلامه و أحزانه و منها ما كانت تعبر عن أيامه و سفره ، و توجد أيضا رموز للمرأة مثل مليكة ، مباركة ، أميري ، يا عصفورتي ، فريدة ، هي ، و توجد قصيدتان للأماكن " من طولقة " ، " ثم كانت بجاية " .

ولا يوجد بينهم رابط منطقي واضح لإختلافها و اختلاف مواضيعها ، لكن يوجد هناك رابط خفي ضمني يتجلى في أن جميعها كتبت كبداية جنون الصبا ، فالدلالة هنا معنوية و ليسب لفظية .

- أول الجنون / الكل فيك⁴²

يتحدث الشاعر عثمان لوصيف عن سنوات مراهقته ومشاعره المبكرة ، وضمن ذلك كله في عنوان القصيدة " الكل فيك " وكان لذلك صداه في العنوان الرئيسي للديوان " أول الجنون " ، فعبر عن أحاسيسه بجعل كل الجنون في محبوبته :

الكل فيك وأنتِ في الكلِّ فتيمسي لألاءة الظل .

- أول الجنون / عيد الهوى⁴³

نجد هنا الشاعر في قصيدته "عيد الهوى" يتأرجح بين أهوائه واصفا ومعبرا لحبه لمحبوبته تمردا واختلافا ، فكان الترابط بين عنوان القصيدة عيد الهوى و أول الجنون بارزا في جعل هواجيسه وتمرده على المعتاد في الألفاظ و بين الأسطر كأول جنون في وصف المحبوبة:

فلا نور إلا من فيض جماله ولا حب إلا من هواه تدرّجا.

- أول الجنون / لولا صبايا⁴⁴

عنوان القصيدة لولا صبايا يعبر عن مرحلة المراهقة واصفا أيامه وفرحه بشبابه فكان صباه هو المرحلة التي ظهرت فيها صباية الشاعر وإبداعاته ومنه فالصبا هو أول الجنون عند الشاعر .

لولا صبايا قد درجن على الثرى	غرا كما تتلأل الأقمار
ما كنت امكث ساعة بديارهم	لكتهن جعلنني أختار
أحبتهن فصغت سمط قصائدي	ولمتهن تحبر الأشعار

- أول الجنون / سقيم⁴⁵

يجعل الشاعر من هواجسه المترامية بين حبه وبين الواقع المرير على أنه مرض أصابه:

سقيم أصابني الجفون النواعس	ودقت ضلوعي العاديات الدواهس
وما بي من مس يثير بلابي	سواها فيا خلان إني تاعس
عروس من الفردوس مرت بخاطري	فهاجت همومي و البلاد دسائس

فكان الترابط بين العنوانين ترابطا ضمنيا بين الكلمات والألفاظ المعبرة

- أول الجنون / من أيام الدراسة⁴⁶

يحكي الشاعر أيام الدراسة واصفا المواد التي يدرسها بطريقة جنونية جاعلا منها أبياتا متكاملة معنى ولفظا فنجد الربط بين أول الجنون وعنوان القصيدة من أيام الدراسة في تعبيرها المجنون والمعاني والوصف:

فهندسة أنحلت كل جسمي	و أوجع جبر مراكز رأسي
و جغرافيا لم تدع من عظامي	رفاتا يوسد تربة رمسي
و يلعب تاريخ عصر مضى	بعقلي تلاعب جنّ بإنسي

- أول الجنون / ذات شروق⁴⁷

نجد أن عنوان القصيدة ذات شروق وعنوان الديوان أول الجنون يتقاطعان في القوة والأمل والجرأة وطلب الحياة، فلا نجد علاقة بين أول الجنون والقصيدة ذات شروق واضحة ولكن نجدها بين طيات الأبيات.

كانت الريح نهرا من المروحات
يدغدغ جرح الستائر
يلقي عليها براعم أجراسه الخضلة
وصبايا الشروق المبرقش

- أول الجنون / إلى القدس⁴⁸

يتقاطع عنوان الديوان أول الجنون مع عنوان القصيدة إلى القدس في تقلبات المواقف وحساسية القضية فمشاعر الشاعر المجنونة المدافعة عنها بكلماته القوية وهواجسه المنبعثة من رحم الأمة الواحدة، فجنونه جنون القضية والحرية:

إلى القدس

ألا شمر .. ألا زمجر

وحرّرها وطهرها

من الرّجس

.....

متى نبني عروبتنا .. ووحدتنا

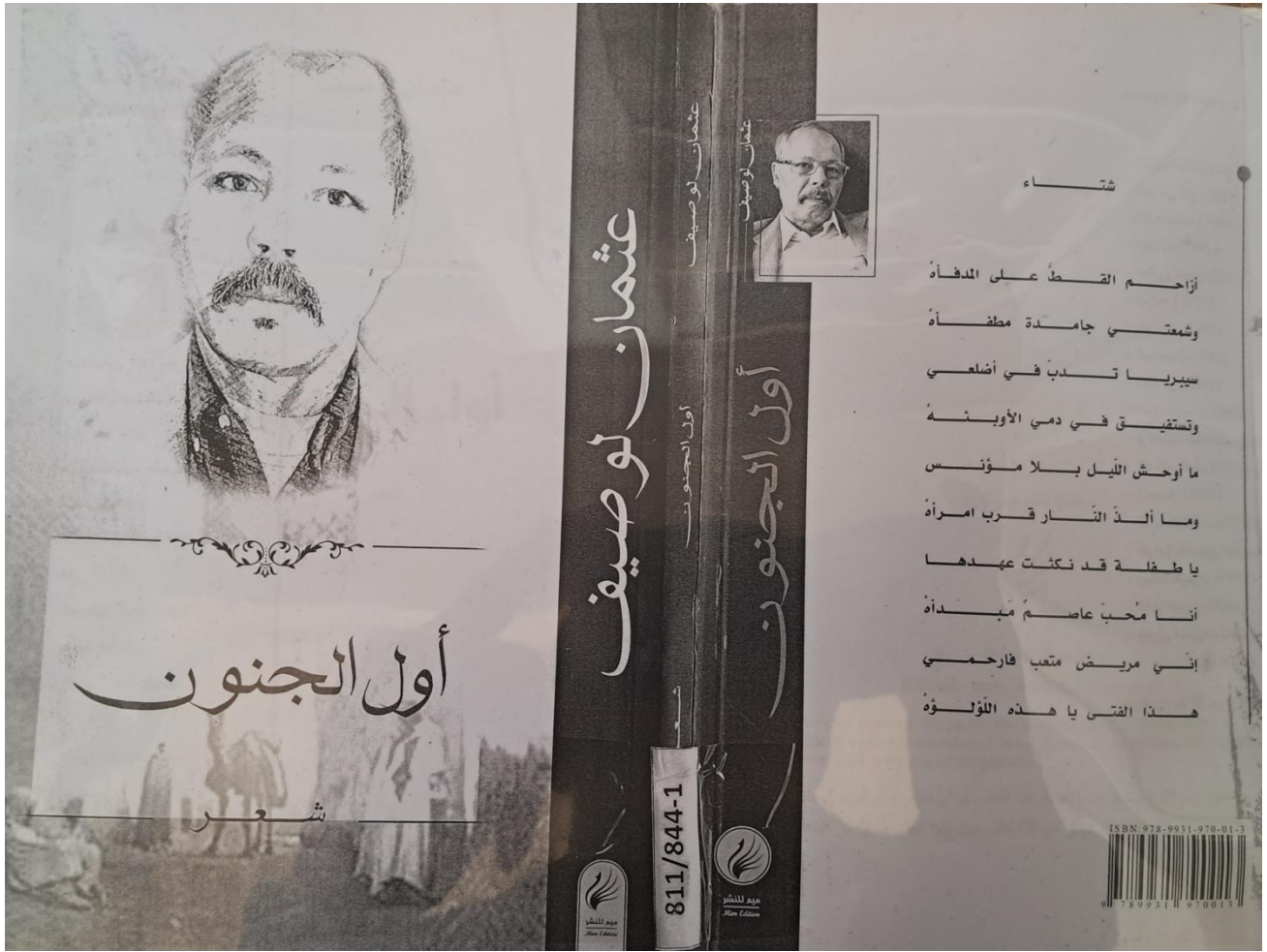
متى نشفى من البؤس

الخاتمة:

العنوان إبداع فني و عتبة هامة من عتبات النص يلج من خلالها الباحث إلى عالمه النصي لما له من قدرة استفزازية من أجل محاكاة النص الموازي مع النص الأصلي و محاولة فهمه و الغوص بين طياته .

وبعد الوقوف على عتبة العنوان في ديوان " أول الجنون " للشاعر عثمان لوصيف و الذي حاولنا قراءته سيميائيا لاكتشاف أسرار و خباياه، توصلنا إلى جملة من النتائج المختلفة، فنجد أن العنوان لا يأتي اعتباطا أو صدفة فله بنية دلالية يكشف عن قصدية الكاتب و مدى ربطه بالنص ويأتي على سمة دالة حيث اختصر مضمون النص و شكل جسرا إلى أعماقه.

و كشفت دراستنا لعنوان الديوان " أول الجنون "، أن له دلالة إيحائية و إغرائية ارتبطت بالوظيفة الوصفية التي أراد الكاتب عبرها توضيح حقيقة إبداعه⁴⁹ الأدبي و هي بداية كتاباته في صغره (أول الجنون)، كما لا يشترط أن يكون هناك بين ترابط العنوان الرئيسي للديوان مع العناوين الفرعية للقصائد ارتباطا منطقيا ظاهرا، فوجدنا في هذه الدراسة وجود ارتباط خفي جوهري بين العنوان الرئيسي و العناوين الفرعية يكمن في جنون البدايات .



هوامش وإحالات المقال

- ¹ - جمال الدين بن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان، ج 13 ط 3 مادة (عن). ص 290.
- ² - ينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط 15 1996م، مادة (عن). ص 1570
- ³ - محمد الهادي مطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، مج 28، ع 1 يوليو. سبتمبر 1999م، ص 457
- ⁴ - بسام قطوس، سماء العنوان، وزارة الثقافة عمان الأردن، ط 1، 2001م، ص 36.
- ⁵ - ينظر بوعتو خيرة، جماليات العنوان في السينما الجزائرية بالمهجر. بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، جامعة السانبا، وهران، 2006م/2007م، ص 87
- ⁶ - Léo Hoek lamarque du titre. Dispositifs sémiotiques d'une moutorspublishers. Paris. 1981.P:17.
- ⁷ - عبد الحميد هيمة علامات في الإبداع الجزائري مديرية الثقافة ولجنة الحفلات سطيف الجزائر، ط 1، 2000م، ص 64.
- ⁸ - Gérard Genette. Seuils. Edition du Seuils. Coll. Poétique Paris. 1987.P:56
- ⁹ - جميل حمداوي، لماذا النَّصّ الموازي مجلة الكرمل، ع: 88، 89، 2009م، ص 220
- ¹⁰ - ينظر جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، ط 1، عمان 1011، ص 66
- ¹¹ - وجيه قانون دراسات في حركة الفكر الأدبي، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 1، 1991م، ص 57
- ¹² - ينظر بلعابد عبد الحق، عتبات جبرار جنيت من النَّصّ إلى المناص، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2008م، ص 67
- ¹³ - المرجع نفسه، ص 67.
- ¹⁴ - حسين خالد حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق 2007م، ص 78
- ¹⁵ - ينظر بوعافية منال، سيميائية العنوان في الخطاب الشعبي ديوان (تحت ظلال الزيتون)، مجلة فصل الخطاب، مج 7، ع 25، المركز الجامعي مغنية، الجزائر، مارس 2019، ص 109.

- ¹⁶ - حسين خالد حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ص 97.
- ¹⁷ - ينظر جكيب محمد التونسي، إشكالية مقارنة النصّ الموازي وتعدد قراءاته عتبة العنوان نموذجاً، مجلة جامعة الأقصى، مؤتمر الآداب، ع 1 2000م، ص 523-524.
- ¹⁸ - ينظر بوعافية منال، سيميائية العنوان في الخطاب الشعبي ديوان (تحت ظلال الزيتون)، ص 110.
- ¹⁹ - Gérard Genette, Seuil, Edition du Seuil, p95.96.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص 97.
- ²¹ - ينظر بلعابد عبد الحق، عتبات جبرار جنيت من النصّ إلى المناص، ص 87.
- ²² - Gérard Genette, Seuil, p89.
- ²³ - ينظر: شعيب خليفي هوية العلامات في بناء العتبات وبناء التأويل دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005، ص 49.
- ²⁴ - <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D9%88%D9%86/>
- ²⁵ -
- <https://www.quranwords.com/amp/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84/http://www.quranwords.com/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84/66907>
- ²⁶ - سورة ق، الآية 15.
- ²⁷ - <https://www.almaany.com>
- ²⁸ - سورة الأنعام، الآية 163.
- ²⁹ - سورة الأعراف، الآية 143.
- ³⁰ - سورة البقرة، الآية 41.
- ³¹ - <https://www.quran-words.com/>
- ³² - سورة القيامة، الآية 34.
- ³³ - <https://www.almaany.com/>
- ³⁴ - عثمان لوصيف، ديوان (أول الجنون)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 2021، 1، ص 7.
- ³⁵ - المصدر نفسه، ص 10.
- ³⁶ - المصدر نفسه، ص 22.
- ³⁷ - ينظر: طارق زيناوي، عقلاء مجانين الصوفية بين خطاب الجنون و جنون الخطاب، مجلة دراسات و أبحاث - المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية -، مج 11، ع 1، مارس 2019، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر، ص 65.66.
- ³⁸ - عثمان لوصيف، ديوان (أول الجنون)، ص 25.
- ³⁹ - المصدر نفسه، ص 48.
- ⁴⁰ - المصدر نفسه، ص 55.
- ⁴¹ - المصدر نفسه، ص 70.
- ⁴² - المصدر نفسه، ص 6.
- ⁴³ - المصدر نفسه، ص 12.
- ⁴⁴ - المصدر نفسه، ص 22.
- ⁴⁵ - المصدر نفسه، ص 25.
- ⁴⁶ - المصدر نفسه، ص 31.
- ⁴⁷ - المصدر نفسه، ص 49.
- ⁴⁸ - المصدر نفسه، ص 68.
- ⁴⁹ - المصدر نفسه، ص 7.

المصادر والمراجع

- بسام قطوس، سمياء العنوان، وزارة الثقافة عمان الأردن، ط 1، 2001م.

- بلعابد عبد الحق ، عتبات جبرار جنيت من النَّصِّ إلى المناص، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2008 م.
- جمال الدين بن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان، ج 13 ط 3 مادة (عن).
- جميل حمداوي، لماذا النَّصِّ الموازي، مجلة الكرمل، ع: 88، 89، 2009 م.
- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة مجلة عالم الفكر، مج (25) . ع (3) . الكويت يناير / مارس 1997 م.
- جميل حمداوي ، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع ، ط 1، عمان 2011.
- حسين خالد حسين ، فينظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية) ، التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق 2007 م
- شعيب خليفي ، هوية العلامات في بناء العتبات وبناء التأويل ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب، ط 1، 2005.
- عبد الحميد هيمة علامات في الإبداع الجزائري مدربة الثقافة ولجنة الحفلات سطيف الجزائر، ط 1، 2000 م
- عثمان لوصيف، ديوان (أول الجنون)، دار ميم للنشر ، الجزائر ، ط 1، 2021.
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط 15 1996 م، مادة (عن).
- وجيه قانون ، دراسات في حركة الفكر الأدبي، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 1، 1991 م.
- Léo Hoeklamarque du titre. Dispositifs sémiotiques d'unemoutorspublishers .Paris .1981
- Gérard Genette .Seuils .Edition du Seuils .Coll .Poétique Paris.1987

المجلات والمذكرات والمواقع الالكترونية

- بوعافية منال، سيميائية العنوان في الخطاب الشعبي ديوان (تحت ظلال الزيتون) ، مجلة فصل الخطاب ، مج 7 ، ع 25 ، المركز الجامعي مغنية ، الجزائر ، مارس 2019 .
- بوعتو خيرة، جماليات العنوان في السينيما الجزائرية بالمهجر. بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، جامعة السانبا، وهران. 2006م/2007م
- جكيب محمد التونسي، إشكالية مقارنة النَّصِّ الموازي وتعدد قراءاته عتبة العنوان نموذجاً، مجلة جامعة الأقصى، مؤتمر الآداب ، ع 1 2000 م.
- طارق زيناي ، عقلاء مجانين الصوفية بين خطاب الجنون وحنون الخطاب ، مجلة دراسات و أبحاث – المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية - ، مج 11، ع 1، مارس 2019، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة ، الجزائر،
- محمد الهادي مطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفراق، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، مج 28 ، ع 1 يوليو .سبتمبر 1999 م.

- <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D9%88%D9%86/>

<https://www.quranwords.com/amp/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84/http://www.quranwords.com/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A9/>

9/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84/66907